المواقف العربية تجاه محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا بين المعارضة والترحيب

أحمد يوسف*

ملخص: تراوحت ردود الأفعال العربية تجاه الانقلاب الفاشل في تركيا بين المعارضة والإشادة، فقد أبدت بعض الأنظمة العربية الاستبدادية ابتهاجها بالانقلاب، وقد انعكست هذه المواقف على بعض وسائل الإعلام وخصوصًا المصرية. أما الرأي العام العربي، وتحديدًا الاتجاهات الإسلامية منه، فقد أدانت المحاولة، وأعربت عن سرورها بانتصار إرادة الشعب التركي. تحاول هذه الورقة تسليط الضوء على المواقف المختلفة، تجاه المحاولة الانقلابية الفاشلة، وتأكيد أن مصدر هذه المواقف هو من موقف بعض الأنظمة العربية تجاه الرئيس أردوغان وسياساته تجاه تلك البلدان، وثانيًا، أن مواقف الشعوب تعود إلى النظرة الإيجابية تجاه تركيا أردوغان. فهناك إيمان بأن الرئيس أردوغان يدافع عن المظلومين من جهة، ومن جهة أخرى، هناك إشادة من جانب الإسلاميين بالتجربة الناجحة للحكم الديمقراطي الرشيد في تركيا.

*مستشار سياسي، فلسطين

Arab Positions on the Failed Coup Attempt in Turkey between Opposing and Welcoming

Ahmed Yousef*

ABSTRACT Reactions in the Arab world varied between opposing the failed coup in Turkey and acclaiming it. Remarkably, the authoritarian Arab regimes were of the most prominent ones who expressed their jubilation from the first hours of the coup. In this paper we will try to shed light on all of these different positions, and to assert that some of these positions have to do primarily with the stance of some Arab regimes on President Erdoğan and his policies towards those countries, and second, it has to do with the stance of the Arab peoples and their positive view for Turkey's Erdoğan.

*Senior Political Advisor, Palestine

رؤية تركية
2016 - (5/3)
183 - 171

نناقش في بداية هذا البحث مواقف المثقفين والمواقف الشعبية: الإسلامية والعلمانية، ثم المواقف الرسمية لبعض الدول في المنطقة: الحكومات والأنظمة. وأخيرًا وسائل الإعلام العربية، حيث غابت الموضوعية، وانحاز كثير من الوسائل للانقلاب بشكل واضح، مثل معظم القنوات التلفزيونية المصرية، والقنوات التي تُبَثُّ من دولة الإمارات العربية المتحدة، كقناتَي العربية وسكاي نيوز. وسوف نناقش أيضًا وسائل الإعلام العربية الأخرى التي غطت الأحداث إلى حدّ ما بمهنية عالية وحيادية، ومن ثَمّ كسبت احترام الجمهور، مثل قناة الجزيرة. وبرزت تناقضات في بعض البلدان على مستوى الرأي العام، مثل تونس وليبيا، ولكن -بشكل عام- جاءت ردود الأفعال في الغالب منددّة بالانقلاب، ومؤيّدة للديمقراطية، ومنحازة إلى الرئيس التركي رجب طيب أردوغان وحكومة حزب العدالة والتنمية.

أولًا: المواقف الشعبية

على الرغم من اختلاف ردود الأفعال في الشارع العربي، إلا أن الغالبية العظمى وقفت مع إرادة الشعب التركي وتحدّيه الحازم للانقلاب، من خلال الحشود التي غصّت بها الساحات والشوارع حتى أخفق الانقلاب.

ففي فلسطين، كانت قلوب الناس متعلقة بأردوغان، وأمضى الناس ليلتهم بمتابعة التغطية الإعلامية للانقلاب، وكانوا في غاية القلق والخوف من أن يُكتَب لهذا الانقلاب النجاح، فيطيح بحكومة أردوغان، وهذا يعني عودة تركيا إلى حضن إسرائيل، وفقْدَ الفلسطينيين الحليف الإستراتيجي الأهم في المنطقة. وعندما بزغ ضوء الصباح على خبر فشل الانقلاب هُرِع الآلاف إلى المساجد والساحات يهتفون للرئيس أردوغان ويوزعون الحلوى؛ كان ذلك اليوم بالنسبة لهم يومًا مشهودًا، وصفحة مضيئة في تاريخهم.

وفي ليبيا التي لا تزال تعاني الصراعات الداخلية وحالة من الاستقطاب السياسي، انقسم الشارع بين مؤيّد ومعارض للانقلاب، وهيمن هذا الخطاب على تجمعات الليبيين في المقاهي الشعبية، فبينما أبدت بعض وسائل التواصل الاجتماعية ردود فعل داعمة لتحرّك الجيش التركي، وتباكت على إخفاق هذه المحاولة- غرّد العديد من الليبيين على شبكة تويتر بمعارضتهم القوية للانقلابات العسكرية والحكم العسكري[1] .

كان واضحًا أن هذا الانقسام في الموقف الليبي مرجعه وجود اتجاهات موالية لخليفة حفتر، وكل من يدور في فلكه من العلمانيين، حيث اصطفّ هؤلاء خلف الموقف المصري المعارض للرئيس أردوغان ولحزب العدالة والتنمية... إن الشعب الليبي الذي نعرفه بتياراته الإسلامية والمحافظة لن يحتفي بانقلاب عسكري، وهو الذي عانى طويلًا حكم العسكر وقام بثورة للتخلص منه، لكن هذا الاصطفاف سياسي بالدرجة الأولى لا عن قناعة، فليبيا دولة يتطلع شعبها إلى محاكاة التجربة الديمقراطية التي عليها تركيا..

وفي إطار التشويش وخلق تسويغات للانقلاب، كتب محمود خلف، أستاذ العلوم السياسية في ليبيا: "إن محاولات الانقلاب المتكررة في تركيا تعكس هشاشة التجربة

الديمقراطية، وعدم نجاح النظام السياسي التركي في تحييد المؤسسة العسكرية". وأضاف فى منشور له في احد مواقع التواصل المجتمعى أن آمال الأوربيين والأميركيين في تغيير الحكومة التركية الحالية تتوقف على طبيعة المصالح المشتركة المستقبلية، والترتيبات المحتملة لتحول تركيا إلى دولة علمانية أكثر ليبرالية، وإبعادها عن نظام الدول الإسلامية، وضمان استقرار الأمن في أوربا[2].

وفي الصومال، حيث تتمتع الحكومة بعلاقات جيدة مع الرئيس أردوغان، شهدت العاصمة مقديشو احتشاد جماهير غفيرة خرجت إلى الشوارع تعبيرًا عن سعادتهم بإخفاق الانقلاب، مثلهم مثل الحركات الإسلامية في العديد من الدول العربية التي أقامت احتفالات مختلفة للتعبير عن سعادتها.

وفي لبنان كانت هناك عدة مسيرات تضامنية مع الرئيس أردوغان نظمتها (الجماعة الإسلامية) في أكثر من مدينة لبنانية، وقد حمل المشاركون أعلامًا لبنانية وتركية، وردّدوا هتافات تدين محاولة الانقلاب في تركيا.

أما في السعودية وموريتانيا والجزائر والمغرب، فكانت قلوب الشارع معلّقة بمتابعة مجريات المحاولة الانقلابية طوال الليل، وفي الصباح تنفست الجماهير الصعداء، وهذا ما شعرنا به خلال متابعاتنا لمواقف تلك الجماهير العربية وردود أفعالها عبر التغطيات الفضائية والرسائل المتبادلة من خلال (الفيسبوك والتويتر).

في الحقيقة، كانت المواقف الشعبية في أغلب الدول العربية أكثر طهارة ورفضًا للمحاولة الانقلابية، إذ عّبرت عن ارتياحها بإحباطها، وإن كانت تعبيراتها بالفرح أخذت أشكالًا تفاوتت بين تبادل التهاني والتبريكات عبر وسائل التواصل الاجتماعي، أو من خلال تجمعات ومسيرات شاهدناها في بعض المدن العربية.

على الرغم من اختلاف ردود الأفعال في الشارع العربي، إلا أن الغالبية العظمى وقفت مع إرادة الشعب التركي وتحدّيه الحازم للانقلاب، من خلال الحشود التي غصّت بها الساحات والشوارع حتى أخفق الانقلاب.

رد فعل النخب العربية: انتصار الديمقراطية

النخب العربية، ولاسيّما ذات الميول الإسلامية، أعربت عن معارضتها الشديدة للانقلاب، وعدَّتْه انتهاكًا صارخًا للتجربة الديمقراطية الرائدة في المنطقة.

فقد علق محمد الشنقيطي، أستاذ الأخلاق السياسية والدين المقارن في كلية الدراسات الإسلامية في قطر قائلًا: "إن هذه الردود دليل على أن المنطقة كلها تعيش مفاصلة كاملة وصراع قيم كبرى، بين معسكر يجمع المؤمنين بقيم الحرية والكرامة وحق الشعوب في حكم نفسها، ومعسكر يجمع كل المتمسّكين بالثورة المضادّة والدولة العميقة وبمنطق الإقصاء والفساد والاستبداد"[3].

وأضاف: "إن ما حدث في تركيا أتاح رؤية هذا الفرز الهائل في المعسكرين، مشيرًا إلى أن ما سماها الشماتة التي بدأ بها المعادون لحقوق الشعوب تحولت إلى حسرة، وسرعان ما تحولت بهجتهم إلى إحراج"، معتبرًا أنّ ردود الأفعال العربية بيّنت أن قلوب الأحرار العرب مع تركيا والديمقراطية[4].

هذا الموقف للشنقيطي من أصدق التوصيفات لما عليه حالة الصراع في المنطقة بين الشعوب وأنظمة الاستبداد فيها، فالدكتاتوريات العربية من خلال دولها العميقة لا تزال تمسك بزمام الأمور، والشعوب التي ملَّت حكم العسكر لا تزال تدعم التجربة الديمقراطية في تركيا، ومن الطبيعي أن تكون معادلتها هي الفرح لفشل الانقلاب، فيما معادلة تلك الأنظمة هي التطبيل لنجاحه.

وقد لا أختلف مع ما أشار إليه السيد مهدي مبروك؛ أستاذ علم الاجتماع ووزير الثقافة التونسي السابق، إلى أنّ العوامل الثقافية والتاريخية والدينية أدّت دورًا كبيرًا في تحديد المواقف العربية تجاه محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا، سواء بالوقوف معها أم ضدها، إضافة إلى موقف تركيا من الإسلام السياسي وثورات الربيع العربي، فقد وصف محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا بأنها حافز كيميائي عمّق الألوان، وبيَّن الثقافة السياسية للبعض.

وأوضح أن المحاولة الفاشلة كشفت عن استقطاب حادّ في المنطقة العربية بين معسكرين: معسكر يدعم التجربة التركية وعملية التحول الديمقراطي ويرفض منطق الانقلاب وحكم العسكر، ومعسكر آخر يدّعي أنه يقف مع الحداثة والديمقراطية، ولكنه في الواقع يركب صهوة الدبابة ويدعم الجيش عندما يكون الخصم إسلامي[5].

ويرى مبروك أن "الدرس المهمّ فيما حدث بتركيا هو أنه أكّد أهمية أن تصون الشعوب العربية صناديق الاقتراع، معتبرًا أن المشكلة في النخب العربية هي أن ثقافتها السياسية معطوبة، وتلوذ بالعسكر، وتعتقد أنهم الملاذ من الإسلام السياسي"[6].

نعـم؛ ربـما كان الإسـلاميون في المنطقة العربية غير قادرين على تسـويق أنفسـهم بأنهم من حمـاة الديمقراطية والدولة المدنية، لكن مع ذلك بقي القلق والتوجس لدى العلمانيين قائمَين، فأسهموا في انتكاس حركة النهوض العربي، واصطفوا ضد كل ما هو إسلامي... وإذا وضعنا المحاولة الانقلابية الفاشلة في هذا السياق؛ أي أنها تحركات باتجاه تغيير واقع الإسلام السياسي لتركيا في عهد أردوغان- أدركنا لماذا وقفت النخب العلمانية في العالم العربي إلى جانب الأنظمة الدكتاتورية في تصفيقها للمحاولة الانقلابية.

أما الموقف الذي عكس قراءة سـليمة للمشـهد فهو موقف الكاتب الإسلامي السعودي؛ د. أحمـد بـن راشـد بن سـعيد، الذي قـال: "إن الفائز والمنتـصر الحقيقي من محاولـة الانقلاب الفاشـلة هـو الرئيـس أردوغان، والإنجـازات التاريخية لحـزب العدالة والتنميـة على مدى ما يقـرب مـن عقدين من الزمـن... أما العوامل الأكثر أهمية في فشـل الانقـلاب فهي أن الحكم العسـكري منبوذ ومدعاة للاشـمئزاز في تركيا. فتجربة الانقلاب الدموي الوحشي في سبتمبر 1980 لاتـزال حيـة في أذهان ملايين من الشـعب التركـي. والعامل الحاسـم الآخر هو ثقافة المواطنـة التـي تعمّقت من قبل حزب حزب العدالة والتنمية، والتي جعلت الأتراك يشـعرون أنهـم يتشـاركون ويتقاسـمون بقوة مصـيرًا مشـتركًا، ومن أبـرز الدلائل على ذلـك أن معظم الأحزاب السياسـية أدانت الانقلاب، كما أن أكثر من نصف القنوات التلفزيونية (غير الموالية للحـزب الحاكـم) وقفت مع إرادة الشـعب بعيدًا عن الانتماء الحـزبي. بصراحة، كان الناس في صـف القيـادة المخلصة لهم، وتعلقت قلوبهم بالرئيس الذي لم يتخـَّل أبدًا عن حقوقهم. انهزم الانقلاب بالحب"[7].

ومن الجدير بالذكر أن العديد من الأحزاب التونسية مثل حزب النهضة، والإرادة، والتيار الديمقراطي- أصدرت بيانات شـديدة اللهجة ضد محاولة الانقلاب الفاشـلة، ودعت القوى الديمقراطيـة في تونـس والعالم العـربي إلى أن تحذّر من مسـار الانقلاب الخطـير، وعبّرت عن تضامنها الكامل مع الشعب التركي ورئيسه أردوغان.

والـشيء الـذي أجـد نفسي مضطرًا إلى الإشـارة إليه هو أن مسـألة تركيا وحّـدت القلوب الفلسـطينية؛ إذ كانت تركيا أردوغان دائمًا حليفًا داعمًا قويًّا بالنسـبة لنا ولاتزال، وبغض النظر عن دولتنا الداخلية والانقسـام بين حركتي فتح وحماس فقد دعمت تركيا السـلطة الفلسطينية في الأمم المتحدة من جهة، وبذلت الكثير من الدعم السـياسي والمالي والإنسـاني في قطاع غزة والضفـة الغربيـة من جهة أخـرى، واتبعت سياسـة متوازنة تجـاه نزاعاتنا الداخليـة؛ فلم تمل إلى جانب فلسـطيني على حسـاب الجانـب الآخر، ولكن حاولـت دومًا الحفاظ عـلى التوازن في تقديم المسـاعدة والدعم لجميع الفلسـطينيين، ولاسـيّما أن تركيا بذلت جهودًا ملحوظة في سـعيها لرفع الظلم الواقع على الفلسـطينيين مـن قبل الاحتلال الإسرائيلي، هـذا الظلم الذي ساعد -للأسف- بعض من أهلنا على استمراره.

أما اليساريون والليبراليون، فقد بدت بينهم أقلام موضوعية، وجاءت تحليلاتهم في إطار دعم الديمقراطية ضد الانقلاب. وأتناول هنا باختصار بعض ما كتبه الكتّاب اليساريون والليبراليون في فلسطين الذين يستحقون التقدير والاحترام- بموضوعية وباعتدال نسبي.

استخدم أكرم عطاالله، الشخصية اليسارية البارزة، لغة العقل للرد على أولئك الذين كانوا متحيزين ضد أردوغان، وتلك الفئة القليلة من الفلسطينيين التي احتفلت بمحاولة الانقلاب. تساءل عطا الله: "لو نجح الانقلاب وسقط الرئيس التركي هل يمكن أن يتصور الفلسطينيون أنه سينشأ هناك نظام قريب لهم مثل النظام الحالي؟ بالتأكيد لا، وبغضّ النظر عن دعمه لحركة حماس في أثناء الانقسام الفلسطيني، وهو ما يثير الكثيرين في الساحة الفلسطينية من خصوم الحركة ، لكن بديل أردوغان سيكون أكثر سوءًا للقضية الفلسطينية ولحركة حماس، وهذا لا ينتظره الفلسطيني عندما يتذكر حكومات سابقة كانت في أفضل حالاتها محايدة تمامًا تجاه الملف الفلسطيني، بل أكثر قربًا من إسرائيل قياسًا بتركيا الحالية". وأضاف: "لو نجح الانقلاب في تركيا لكان ذلك خسارة لتجربة رائدة في الإسلام السياسي الوسطي الذي نحاول أن ندفع بأحزابنا الإسلامية، وخاصة حركة حماس لتقليده، فهو على درجة من الاعتدال الذي تحتاج أن تتعلم منه أحزاب التطرف في العالم العربي هذا القدر من الكفاءة في إدارة الشعوب، وبمرونة أيديولوجية واجتماعية متقدمة، يراها كل من أتيح له زيارة ذلك البلد، وسيعرف أن أحزابنا عندما تنقل التجربة التركية ستكون أوطاننا بخير، جيد أن النموذج لم يسقط لأن ذلك كان سيوفّر للمتطرفين ذخيرة العناد والإعجاب بنموذجهم الفريد!"[8].

من الواضح أن أكرم عطاالله كان متصالحًا مع نفسه، وقدّم تحليلًا منسجمًا مع فهمه لدور تركيا أردوغان في دعمها للقضية الفلسطينية، ورغم انتمائه لليسار إلا أن وطنيته وإدراكه للمواقف المتقدمة للرئيس أردوغان جعلاه يأخذ موقفًا مغايرًا لما كان عليه الكثير من أنصار هذا التيار خارج فلسطين. وكذلك كان موقف الصحفي اليساري هاني حبيب، الذي كتب قائلًا: "مما لا شك فيه أن فشل الانقلاب أكد أن النظام السياسي التركي نظام مستقرّ وصامد وقويّ، وليس أدل على ذلك، من الدور الذي لعبته أحزاب المعارضة ضد الانقلابيين ونزولها إلى الشارع في مواجهة معهم، رغم خلافاتهم الحادّة والمعلنة مع أردوغان وسياساته، وهو ما يؤكّد مجدّدًا أن لا نظام سياسيًّا قويًّا بدون معارضة قويّة"[9].

السيد طلال عوكل، الكاتب والمحلل السياسي اليساري، كتب يقول: "لم يكن متوقعًا أن تكون تركيا أفضل لو أن الانقلابيين نجحوا في إسقاط نظام حكم العدالة والتنمية التركي، فهم إذا كانوا من أتباع الداعية فتح الله غولن الذي يعيش في الولايات المتحدة الأميركية، فإن النتيجة ستفضي إلى حرب أهلية، وتدمير الكثير من الإنجازات الهامّة التي جعلت تركيا واحدة من الدول القوية على المستوى العالمي. فوق ذلك، فإن حصول غولن على الحماية والدعم الأميركي كان سيذهب بتركيا بعيدًا في الخضوع للسياسات والمصالح الأميركية"[10].

تركيا وحّدت القلوب الفلسطينية؛ إذ كانت تركيا أردوغان دائمًا حليفًا داعمًا قويًا بالنسبة لنا ولاتزال، وبغض النظر عن دولتنا الداخلية والانقسام بين حركتي فتح وحماس فقد دعمت تركيا السلطة الفلسطينية في الأمم المتحدة من جهة، وبذلت الكثير من الدعم السياسي والمالي والإنساني في قطاع غزة والضفة الغربية من جهة أخرى.

وعبّر الدبلوماسي السابق والصحفي المخضرم عدلي صادق؛ المحسوب على التيار الليبرالي في فلسطين، عن مشاعره بفشل الانقلاب في تغريدة له على الفيسبوك، بالقول: "لم أنم حتى الفجر ليلة الانقلاب، بخلاف الكثيرين... وقد أزعجني كثيرًا انقلاب بعض الجيش في تركيا، وأسعدني فشله؛ لأن إسرائيل والاستخبارات الأمريكية والعُنصريين الأتراك المعادين للعرب والمسلمين- معششون في مؤسسة الجيش. لقد خفت على شعب سوريا المظلوم المُدمى أن يستفردوا به تمامًا، وأن يخسر وقفة تركيا الجزئية والحذرة، خفت على حلب، خفت من عودة الديكتاتوريات الفاجرة الأعتى بكثير من تفرد أردوغان. ومن ألطاف المولى... هناك رتب عسكرية أعلى، وساسة دُهاة، مجهولون كانوا ينتظرون نجاح الانقلاب لكي يظهروا. مخطئون هؤلاء الذين تعاطوا مع أنباء الانقلاب بأحادية ضيقة دون أن يتأملوا المشهد كله"[11].

المهمّ فشل الانقلاب، وانتصرت إرادة الشعب، وأثبتت أن زمن الحكومات الاستبدادية العسكرية قد انتهى منذ فترة طويلة. فمجرد دعوة على فيس تايم كانت كافية لإيقاظ الشارع التركي بأكمله. بالتأكيد ما رأيناه على شاشات التلفزة من صور حية أظهرت شجاعة وصلابة غير مسبوقة للأجيال القادمة.

يجب على الفلسطينيين أن يتعلموا دروسًا مما حدث في الشوارع والساحات في تركيا. كانت إرادة الشعب أقوى من كل الأسلحة المروعة والدبابات القاتلة. إذا استمر الانقسام الفلسطيني، فلابد من استخدام قوة الشعب وحشده لوضع حدّ لهذا الانقسام، واستعادة وحدتنا الجغرافية والوطنية.

أجل، أُريقت دماء كثيرة في تركيا فعلًا، ولكن مجرد فكرة الحاكم العسكري انهارت تمامًا، والمواجهات التي شهدناها أثبتت أن هناك علاقة بين إرادة الحياة واستجابة القدر.

ثانيًا: المواقف الرسمية:

نددت الغالبية العظمى من الدول العربية ومنها: المملكة العربية السعودية، والكويت، وقطر، والسودان، ولبنان، والمغرب، والصومال، وجيبوتي بالانقلاب، ورحبت بفشله، بدرجات متفاوتة بطبيعة الحال.

ففي حين رحبت دولة الكويت والمملكة العربية السعودية باستعادة أردوغان حكم البلاد، أظهرت قطر غبطتها، نظرًا للعلاقات الخاصة التي تجمع بين الحكومتين، وذكرت وكالة الأنباء القطرية أن أمير قطر اتصل بأردوغان وهنّأه على "موقف شعبه المشرف، والوقوف في وجه الانقلاب، ودعم الحكومة المنتخبة ديمقراطيًا".

أما المغرب، فقد ذكرت وزارة الشؤون الخارجية أن "المملكة تدين محاولة الانقلاب في تركيا، وتدعو إلى الحفاظ على النظام الدستوري". وكذلك السودان، فقد أدان الرئيس البشير علنًا الانقلاب، وأعرب عن "دعم بلاده للرئيس أردوغان".

وفي العراق، دعا وزير الخارجية إبراهيم الجعفري إلى "الحاجة لحماية مؤسسات الدولة"، ومن جانبه أدان رئيس مجلس النواب سليم الجبوري "الهجوم على مجلس الشعب التركي".

وفي الصومال، أدان الرئيس حسن شيخ محمود الانقلاب في بيان صدر عن مكتبه، جاء فيه أن "الحكومة والشعب الصومالي يقفان إلى جانب الحكومة الديمقراطية، ويدينان بأشد العبارات الانقلاب الفاشل". وفقًا للوكالة.

وفي لبنان، ندد رئيس مجلس الوزراء تمام سلام بالمحاولة الانقلابية، وعبر عن موقف حكومته المنطلق من رفضها المبدئي للاستيلاء على مقاليد الحكم في أي بلد بالقوة المسلحة، والحريص على احترام التقاليد الديمقراطية في العمل السياسي، أما الرئيس سعد الحريري فقد بارك للرئيس التركي والشعب التركي انتصار المسار الديموقراطي على الحركة الانقلابية العسكرية.

هذا وقد أدانت وزارة الشؤون الخارجية الفلسطينية أيضًا الانقلاب وأعربت عن تضامنها مع الشعب التركي، وقالت في بيان لها: إن وزير الخارجية الفلسطيني المالكي اتصل بنظيره التركي، وهنّأه على "انتصار الديمقراطية، وهزيمة الانقلابيين، ومحاولتهم البائسة لزعزعة استقرار الجمهورية التركية"، وشّدد المالكي على أن "القيادة الفلسطينية حكومة وشعبًا تدين بأشد العبارات محاولة الانقلاب الجبانة الإرهابية في تركيا"[12].

ومما يؤسف له، إن مصر كانت في موقف مغاير لموقف معظم الدول العربية، التي أجمعت على رفضها الانقلاب والوقوف إلى جانب الحكومة والشعب التركيين، فلم تصدر القاهرة أي

تعليق رسمي على المحاولة الانقلابية الفاشلة؛ وفي وقت لاحق من يوم السبت 16 يوليو؛ أي اليوم الذي أعقب المحاولة الانقلابية الفاشلة، عرقل ممثل مصر في مجلس الأمن الدولي إصدار بيـان باسـم المجلس يدعو فيه كل الأطراف إلى ضرورة احـترام الحكومة المنتخبة ديمقراطيًّا في تركيا!

إن الموقـف العـربي من محاولـة الانقلاب الفاشـلة كان متفاوتًـا، ويمكن إجمالـه في النقاط الآتية: هناك دول رفضت المؤامرة، وهناك من استنكرتها، وأخرى تولّتها وربما تآمرت.

ثالثًا: توجهات وسائل الإعلام

لعل أفضل تلخيص لمشـكلة التحيّز المثير للاشـمئزاز في وسـائل الإعلام العربية الرسـمية والخاصـة يمكن أن نجده في مقال بعنوان "انتصرت تركيـا... وخسر (إعلام عربيّ) مهنيّته". فقد أشـار المقال إلى أن محاولة الانقلاب في تركيا جددت "المواجهة المباشرة" بين بعض وسائل الإعلام العربية، وشعوب الربيع العربي. على سبيل المثال، تعرضت بعض القنوات والصحف والمواقع الإخبارية لموجة من الانتقادات اللاذعة بسبب التسرع في نشر أخبار كاذبة[13].

هذا وقد أوردت تلك المقالة سلسـلة من التقارير التي تفتقر إلى المصداقية، والتي أشـعلت وسـائل التواصـل الاجتماعي. على سـبيل المثال، قالت إحـدى القنوات الإخباريـة العربية إن الرئيـس التركي أردوغان طلب اللجوء السـياسي إلى ألمانيا، بينـما كان في ذلك الوقت متوجهًا إلى إسـطنبول للوقـوف إلى جانب الجماهـير، وأكدت قناة أخرى أن الانقـلاب قد نجح وتمّت "استعادة الديمقراطية في البلاد من قبل الجيش"[14].

لا شكَّ أن طريقة قناة "العربية" في التغطية أثارت الكثير من النقد من طرف الجماهير العربية، وهـو مـا دفع مديرها تركي الدخيل للرد على المنتقدين بأسـلوب بارد، قائـلًا: إن القناة مهنيَّة، واكتفـت بنقـل الخبر. وفي تغريدة له انتقد عبر حسـابه في تويتر قائـلا: "العربية نقلت الأخبار كـما وردت على القنوات التركية، مثل كل القنـوات"، مضيفًا: "لم نفرح بالانقلاب، ولا فرحنا بفشـله"، وزاد "نحن قناة أخبار، الفرح والحزن ليسـا وظيفتنا!". وهذا الكلام استدعى الكثير مـن الـردود المنددة به وبقناة العربية، والتي كان أغرب ما تكلمت به خلال تغطيتها للأحداث أن الشـعب التركي خرج الى الشـوارع محتفلًا بجنود الانقلاب، وتجمهـر حول الدبابات يرفع الأعلام احتفاء بهم!

إن من الجدير ذكره، أنه بعد استعادة السلطات التركية سيطرتها على البلاد وفشل الانقلاب، لم يدّخر المنتقدون جهدًا في انتقاد وسائل الإعلام على تويتر، مؤكدين أن جزءًا كبيرًا من وسائل الإعـلام العربية تمنّى نجاح الانقلاب، واتّهموا وسـائل الإعلام بمحاولة مسـاعدة الانقلاب عن طريق نشر أخبار كاذبة.

وسـلّط آخرون الضوء على أن بعض القنوات وقعت في فخ الانقلاب، وأظهرت افتقارها إلى المهنيَّـة والحياديـة. وكتب ناقد على تويتر أن "محاولة الانقـلاب كانت حدثًا تاريخيًّا للإعلام العربي لوقفة من أجل إعادة النظر ومراجعة طبيعة عمله، ومهنيته، وحجم تسييسه"[15].

من ناحية أخرى، ظهرت هاشـتاغات مباشرة بعد الحدث تشـكر قناة الجزيرة على نزاهتها ومصداقيتهـا، وأشـادت أيضًـا بالتغطيـة المهنيـة التـي لم تتوقـف منذ بدايـة الأحـداث، وفقًا لوصفها.

وأثارت وسـائل الإعلام في دولة الإمارات العربية المتحدة ومصر سـخريةً وازدراءً بسبب طريقة تعاملها مع الانقلاب الفاشـل في تركيا. وأطلق نشـطاء ما يسمّى حملة (البصق على قناة العربيـة)، التي تصدرت قائمة الاتجاهات الأكثر نشـاطًا عـلى تويتر، بعد أن انتقد آلاف الناس طريقة تغطيتها لمحاولة الانقلاب.

أما بالنسـبة لقناة (سـكاي نيوز)، فقد أثارت أيضًا موجة من السـخرية والاسـتهجان بعد بثّها عشرات الأخبار الكاذبة، ثم التراجع عنها. فالإعلام الذي يحترم نفسـه يطرد أي صحفي ينـشر أخبارًا كاذبـة، ومع ذلك فإن القناة نشرت عشرات الأخبـار الكاذبة خلال ليلة واحدة، ثـم تبيّن سريعًا كذبهـا؛ لأن القناة تتلقى الأخبار من أجهزة الأمـن الإماراتية، لا من وكالات الأنباء والمراسلين[16].

وجاءت جميع العناوين الرئيسة في صحف مصر والإمارات العربية المتحدة كانت: "الجيش تولّى السلطة في تركيا"، أو شيئًا من هذا القبيل، في حين أن صور مدبّري الانقلاب وهم رافعو أيديهم للاستسلام على جسر البوسفور وصلت للقراء قبل أن تصل الصحف التي طبعتها أبو ظبي على نفقتها!

من ناحية أخرى، غطّت وسـائل إعلام النظام السـوري الحادث بطريقة خاصة من خلال القنـوات الإخباريـة، واعتـبرت الانقلاب "ثورة ضد حكـم الرئيس أردوغـان، العدو الأول للنظام السوري"، معتبرة أن أحد الأسباب التي أدت إلى الانقلاب هو سياسته المعادية لسوريا، وبدأت كل القنوات الإخبارية الرسمية للنظام السوري التعبير عن نشوتها بالانقلاب[17].

في الحقيقة، لم يكن يُتوقَّع من نظام بشـار الأسـد المعادي لتركيا في عهد أردوغان إلا التغني بالمحاولـة الانقلابيـة والترحيب بها، حيث إن معاييره في الحكم لم تكـن غير الرغبة في الانتقام ممـن يطالبـه بالرحيل عن سـوريا، ويدعو إلى بناء نظـام ديمقراطي بدل ما هـو قائم من الظلم والاستبداد والديكتاتورية.

بـدا واضحًـا في التغطيات الإعلامية أن الدول العربية التي ليسـت عـلى خلاف مع تركيا، مثل الأردن والمملكة العربية السـعودية، اعتمدت بشكل كامل على وكالات الأنباء والقنوات العالمية[18].

لم يكن يُتوقّع من نظام بشار الأسد المعادي لتركيا في عهد أردوغان إلا التغني بالمحاولة الانقلابية والترحيب بها، حيث إن معاييره في الحكم لم تكن غير الرغبة في الانتقام ممن يطالبه بالرحيل عن سوريا.

وأدت حالة الاصطفاف في المنطقة العربية على خلفية ما يجري من صراعات طائفية إلى تباين واضح في المواقف، وربما اعتقدت بعض الأنظمة أن نجاح الانقلابات العسكرية تاريخيًّا في تركيا جعلها تتسرع من خلال ووسائل إعلامها للتطبيل للمحاولة الفاشلة، وكانت مصر والإمارات هما الأسوأ في التقدير والتهوّر.

باختصار، أحدثت محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا فوضى عارمة في وسائل إعلام العالم بأسره، والتي أدّت فيها وسائل الإعلام العربية دورًا كبيرًا، وانقسمت حول محاولة الانقلاب الفاشلة، بين وسائل الإعلام الرسمية التي دعمت الانقلاب، وأخرى وقفت بجوار الشعب التركي ومع الديمقراطية. للأسف، كانت مواقف بعض وسائل الإعلام العربية مشابهة جدًّا لمواقف وسائل إعلام الثورة المضادّة عندما وصل الأمر إلى انقلاب تركيا، كما أنها عملت بشكل غير مهني، وتعمّدت تضليل الناس، وأعطت شرعية للطغاة، وهذا يدلّ على أن المواقف التي أظهرتها وسائل الإعلام تعكس المواقف السياسية لأنظمتها المستبدة، التي تحمل ضغينة عمياء ضد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان[19].

وقد أظهرت الباحثة فيروز لمطاعي في ورقتها عن "المعالجة الإعلامية لمحاولة الانقلاب العسكري في تركيا في القنوات العربية والغربية"، التي قدمتها في مؤتمر "الجيش والسياسة" بالعاصمة القطرية الدوحة في الثالث من أكتوبر -2016 الدور البارز الذي كان لوسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي في إحداث الفرق والإسهام في إفشال الانقلاب من ناحية، وهزّ مصداقية بعض تلك الوسائل في العالم العربي .

الخاتمة: انتصار الديمقراطية

كان الخوف على التجربة الديمقراطية في تركيا هو المشهد السائد في معظم الدول العربية، فتركيا هي البلد الذي حقّق انجازات اقتصادية واستقرارًا سياسيًّا، على عكس العديد من بلدان المنطقة، فهي البلد الأوّل. امتزجت خبرتها ببصمات الكثير من الإسلاميين وأيضًا من المثقفين العلمانيين الذين رأوا فيها نموذجًا سياسيًّا يريدونه أن يسود في جميع أنحاء المنطقة.

نعم فعلًا؛ كانت هناك أنظمة عربية وجدت في هذا النموذج الديمقراطي تهديدًا لبقائها، ولذلك تآمرت ضده، وهلّلت من خلال وسائل إعلامها للانقلاب، ولكن شعوب المنطقة عارضت بأغلبية ساحقة الانقلاب[20].

مما لا شك فيه، أن إخفاق الانقلاب كان ضربة لجميع الأنظمة الفاسدة والقمعية. وكما قال مصطفى اللبّاد، إن "المنتصر الحقيقي هو الديمقراطية في تركيا وأحزاب المعارضة التي رفضت الانقلاب".

مـا حـدث في تركيـا كان حقًّا ظاهرة تاريخية اسـتثنائية، حيث انتصرت إرادة شـعب أعزل عـلى الجيـش، وفـازت الديمقراطية، وهو ما سـيبقي الأمل حيًّا لفـرص التغيير والإصلاح في المسـتقبل، وتركيا هي النموذج لشـعوب المنطقة في إمكانيات تغلب العزيمة والإرادة الشعبية على جبروت العسكر.

إن المتابـع لمشـهد المحاولة الانقلابية الفاشـلة على قناعة أن "الشـعب التركـي اليوم أعطى درسًـا للعـالم -وللعـرب كذلـك- أن ارادة الحيـاة يمكنها أن تصنـع التغيير وتحفـظ الإنجاز، وإذا كان العـرب قـد أخفقت تجربتهم بالنهوض وتمَّ إفشـال ربيعهم، فـإن عليهم عدم اليأس والقنوط، ومعاودة المحاولة من جديد، بعيدًا عن العنف ما أمكن، وبتحقيق وحدة الميدان بين الجميع على قواسـم مشـتركة، وبتوافق وطني، بحيث تتآكد معه الرغبـة في التغيير والإصلاح لدى الجميع"[21].

بعد المحاولة الانقلابية الفاشـلة في تركيا، تلقى المشـهد الإعلامي العربي ضربة قوية أثّرت بشـكل كبير في مصداقيته، وكشـفته أمام العالم بأنه يفتقد إلى المهنيَّة والموضوعية، وأنه في معظم مؤسسـاته لا يـزال يعيش تحـت عباءة العسـكر والأجهـزة الأمنيـة، التي تبسـط هيمنتها على فضاءات الكلمة والصورة والحدث في منطقة الشرق الأوسط.

الهوامش والمصادر :

1. الشارع الليبي منقسم حول محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا، علي مجاهد، بوابة الوسط الإخباري، طرابلس، 16 يوليو 2016، http://www.alwasat.ly/ar/news/libya/111730/
2. نفس المصدر
3. الوضع العربي الراهن، برنامج قناة الجزيرة، 17 يوليو 2016، تم الاسترجاع من: http://goo.gl/jIzVam
4. نفس المصدر
5. نفس المصدر
6. نفس المصدر
7. انهزم الانقلاب... بالحب، أحمد بن راشد، صحيفة العرب القطرية 20 يوليو عام 2016، تم الاسترجاع من: http://goo.gl/Y9ktsY
8. ملاحظات على هامش انقلاب أنقرة... أكرم عطا الله، صحيفة الأيام 17 يوليو 2016. http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=112ef0e1y288288993Y112ef0e1
9. هل أنقذت المعارضة التركية أردوغان؟!، هاني حبيب، 17 يوليو 2016. http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=112eed2ay288288042Y112eed2a
10. إلى أين تتجه تركيا؟، طلال عوكل، http://www.nedalshabi.ps/?p=84632
11. انظر "تركيا أردوغان"، أحمد يوسف، صحيفة القدس، 19 يوليو 2016، تم الاسترجاع من: https:// www.maannews.net/Content.aspx?id=857586
12. وكالة الأنباء الفلسطينية الرسمية (وفا)، انظر صحيفة الغد، 16 يوليو 2016، http://goo.gl/KwLQwk
13. انتصرت تركيا... وخسر "إعلام عربي" مهنيته، شبكة الجزيرة، 16 يوليو 2016، http://goo.gl/SjjeZr

14. نفس المصدر
15. نفس المصدر
16. أثارت وسائل الإعلام من مصر والإمارات العربية المتحدة الضحك والسخرية بسبب الطريقة التي تعاملت بها مع الانقلاب الفاشل في تركيا، أسرار عربية، أبو ظبي، 16 يوليو 2016، تم الاسترجاع من: http://asrararabiya.com/news/?p=6351
17. قراءة في محاولة الانقلاب التركية، وكالة أنباء مجال، 17 يوليو 2016، تم استردادها من: http:// goo.gl/biAVPO
18. نفس المصدر
19. برنامج الوضع العربي الراهن، محمد الشنقيطي، قناة الجزيرة، http://goo.gl/jIzVam
20. انظر: المقابلة مع دويتشه فيله، 17 يوليو 2016، https://ar.qantara.de/node/24383
21. تركيا أردوغان، أحمد يوسف، صحيفة القدس، 19 يوليو 2016، https://www.maannews.net/ Content.aspx?id=857586